

من عبود الأدب الغربي :

حديقة أبيقور لأناطول فرانس

بقلم الأستاذ بولس سلامة

تمهيد :

كان أناطول فرانس كاتباً شديد الشك ، شديد السخرية ، متشاكماً هداماً . ولا غرابة فقد أنجبت فرنسا التي أنجبت من قبله فولتير إمام الشاكين في زمانه وفي كل زمان . وأناطول فرانس كفولتير يتخذ السخرية طريقاً لإصلاح المجتمع والمتفادات والناس . وبشرك معه في هذه الصفة الكاتب الانكليزي (شو) إلا أن (شو) يكتب بأسلوب العلماء وأناطول فرانس يكتب بقلم أسلست له اللغة وطاوعه البيان فجاءت كتاباته آية من آيات الأدب الرفيع . وفي حديقة أبيقور يتجلى شك أناطول فرانس وسهكمه وتشاؤمه ويتجلى منه الرائع وأسلوبه الشيق البديع وقد اقتطفنا لك من هذه الحديقة باقة صغيرة إن أعجبك رواؤها وشذاها فادخل الحديقة وشاهد وتأمل ...

الرهاء والسفاه :

كنت أقرأ كتاباً لشاعر فيلسوف تخيل فيه جيلاً من الناس خلت قلوبهم من الهم والسرور والمنا . ورجعت من هذه الحياة المثل التي تخيلها الشاعر الفيلسوف إلى عالمنا هذا حيث يكافح الإنسان ويشقى ويتألم ويحلم فمعجبت كيف يضطرب قلب الإنسان حينئذ إلى مشاركة هؤلاء في كفاحهم وشقاؤهم وآلامهم وأحلامهم . ففي هذه الحالة - وفيها وحدها - يجد الإنسان نبماً من النبطة لا ينضب . ولقد قنمت بمد قراءته ينصبي المتواضع في هذه الأرض ورضيت عن نفسي وإخواني الذين يشاركونني هذا النصيب

المتواضع الصغير . بل اقتنمت بأننا في شقاؤنا أنبل من هاته الخلائق التي يرسمها هؤلاء الفلاسفة الخالون بلا ألم ولا شقاء .

إننا إذا اقتنمنا الألم والمواطف والأهواء من حياة الناس اقتنمنا معها الشعر والفن وكل شيء جميل . وكيف يشمر الشعراء في عالم لا ألم فيه ولا حرمان ولا شقاء ؟ إنهم يغمضون عيونهم ويصمون آذانهم عن أعاجيب الفن والشعر التي تجمل من هذه الأرض المتواضعة سماءً لا تطاولها سماء .

إن بيتاً واحداً من الشعر الرفيع ليفعل في النفس ما لا تفعله هذه المخترعات الحديثة وهذا العلم الحديث .

وأى عالم تتخيله وقد امتلأ بالهندسين والعلماء بلا شعر ولا حب ولا أهواء . وكيف يشمر ويحب ويفنى القاع الراضى القريب ؟ إنما الحب نبت لا يزكو إلا بالدموع والبكاء .

إنه لمن الخير أن ننسى الألم وأن نرضى بفضينا من هذا العيش الذي يتداول فيه الخير والشر والسر واليسر كما يتداول الليل والنهار .

الغبار :

الغبار شرط لازم - لا أقول للمادة - بل للحياة . فلو عرفنا كل شيء لما استطعنا أن نعيش ساعة واحدة . إن هذه الأشياء التي يحلو بها العيش أو يطاق إنما تقوم في الواقع على الوم والغبار .

السيوخ :

عند ما يشيخ المرء يزداد تحكماً بآرائه ؛ ولذلك يعمد سكان جزيرة فيجي إلى قتل السيوخ ، وبهذا يسرون تقدم الإنسانية . ونحن نعمل التقيض بتأسيس الأكاديمية .

الكتب :

قالت لي فتاة صغيرة - وفي قولها حكمة ثابت عن كثير من الحكماء - إننا نجد في الكتب ما لا نجد في عالم الواقع من أشياء مفضت وانطوت فلا تعود ، أو أشياء متوقمة تتخيلها ولا ندر كما على التحديد . فهي صورة قاتمة واهمة . وإنى أرى أن من الخير ألا يقرأ الكتب الصغار . ففي الحياة أشياء كثيرة